مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

إسهام مؤسسة المسجد في خدمة المجتمع –تأصيل وقضايا–

The contribution of the mosque institution in the service of society - - rooting and issues

الدكتور: مهنديس عدنان

Dr. adnane mohandis

كلية الآداب سايس جامعة سيدي محمد بن عبد الله . المغرب

mhndysdnan@gmail.com

تاريخ ارسال المقال: 2019/07/21	تاريخ القبول: 2019/08/18	تاريخ النشر:2019/09/01

المرسل: الدكتور: مهنديس عدنان

الملخص:

تسهم مؤسسة المسجد التفاعلي في الانخراط الإيجابي داخل المجتمع، وتؤدي عدة مهام، لها أثرها الفعال في حل مجموعة من القضايا والإشكالات الاجتماعية، ولعل من أهم هذه المهام والوظائف:

–مشاركته للأجواء الاجتماعية التي يعيشها افراده، والتي تتنوع بين الفرح والحزن، كما هو الشأن في مواكبة الأعراس والجنائز.

–خلق أجواء مرحة لبذور تعارف فعال بين أفراده، وذلك من أجل ترسيخ روابط المحبة والألفة بينهم؛ بما يؤصل من مشاعر التضامن والتكافل.

–الإصلاح بين المتخاصمين وتصفية النزاعات بينهم، سواء كانت طبيعة النزاع مادية اومعنوية.

–المشاركة في أعمال الرعاية الصحية والاعتناءباستشفاءأحوال مرتاديه نفسيا وعضويا.

ملخص المقال باللغة الإنجليزية:

The mosque,as an interactive institution, contributes to a positive integration within society. It plays various roles and has effective impact in solving a number of issues and social matters. The most important missions and functions of the interactive mosque are as follows:

+ Taking part in the social events of its members. These vary from joyful and merry events to sad or mournful ones, such as wedding ceremonies and funerals,

+ Creating a lively atmosphere for interactive acquaintance among its community members in order to consolidate the bonds of love and intimacy, and to establish a solid ground for the feelings of solidarity and cooperation.

+ Resolving conflicts and settling materialistic or moral disputes between people,

+Getting involved in health care issues and caring for the recovery of its community members.

نص المقال:

من الصعب جدا حصر واستقراء جميع الوظائف الاجتماعية التي يؤديها المسجد، وذلك نظرا للحجم الكبير الذي تنخرط به هذه المؤسسة في الحياة الاجتماعية، بالإضافة إلى تجدد مجموعة من الوظائف بتطور الأوضاع البشرية والمجتمعية ومسيس الحاجة المؤسساتية إلى احتضان مثل هذه الوظائف حتى تحظى بمصداقية وفعالية كبيرتين، كما أن هذه الوظائف تلتقي في بعض تفاصيلها وجزئياتها مع الجوانب ذات الطابع الروحي الإيماني أو التربوي أو السياسي أو الحضاري، إلا أنني أرمي بهذا التركيز على القضايا المختارة إبراز جوانب خدمتها الاجتماعية وعائدها النفعي على المجتمع، وليس ذكر هذه النماذج حصرا وتحديدا وإنما هو عل سبيل التمثيل، والموضوع في حاجة إلى دراسة استقصائية شاملة تركز على المعطيات ذات الطابع الميداني لنصحح مجموعة من الصور النمطية حول هذه المؤسسة.

أ-**المسجد وتحقيق الأمن**: وذلك ببيان الارتباط الوثيق بين هذه المؤسسة وبين الأمن المجتمعي تأصيلا وتطبيقا، وكونها ضرورية لتحقيقه.

إن مدار أهمية الأمن يمكن في تحصيل الثقة والطمأنينة ودفع جميع أسباب الخوف والحيرة والقلق، ومنبع ذلك بلا شك هو تحقيق العبودية، يقول الدكتور عبد الواحد الحسيني: 'إن الأمن في الحياة مطلب هام وعزيز، يعرف مقدار أهميته وعزّته من يعيش الخوف والقلق والشك مع المعاصي، أو من أسلم أمره لله شاكرا عند النعماء صابرا عند الضراء، فهي نعمة من أجلّ النّعم ترتبط بالإيمان قولا وعملا، فأصل مادة الفعل في الإيمان والأمن واحد، وكلّ مشتقاتها تدور حول **الثقة والطمأنينة**، والوعد بالحياة الآمنة إنما كان لصلاحهم بتحقيق العبودية لله وحده(قال تعالى): "**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**"[1]، فالظلم الذي يهدد به الإنسان في أمنه هو ظلم المعصية، وضعف استجابته لدواعي الخير وتلمس آثار رحمة الله في كلّ شيء عن طريق الإيمان.'[2]

فمنذ وجود المسجد في أوائل التاريخ الإسلامي أسهم بشكل إيجابي في تحقيق وحفظ الأمن الاجتماعي بالوسط الذي يتواجد فيه، بل كان في كثير من الأحيان سببا في جلب الأمن والسلام لأهله، يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي:' وإذا كان الأمن الحقيقي ظاهرا وباطنا مرتبطا بالإيمان بالله وبما أنزل فلنعلم أن المسجد مؤسسة الإيمان ومأواه هو بالنسبة للمسلمين المؤمنين مؤسسة أمن وأمان عاشه المسلمون الأوائل واقعا وأحسّوا به حقيقة واستمدّوه منه توجيها وتطبيقا فتعلقت قلوبهم به'[3].

وهذا يدل على أن المسجد صمام أمان وركيزة أساسية لحفظه واستتبابه، ولعل السر في ذلك هو أنه لما كان المسجد رمزا ومنشأ للعبادة، والعبادة مجلبة للأمن والأمان انطلاقا من قول الباري جلّ وعلا: "**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** "[4]، كان ارتباط المسجد بالأمن ارتباط لزوم لا ينفك عنه أبدا، ويحسن بي هنا أن أسوق حديث نبويا شريفا يلامس هذا المعنى الأمني والذي روي **عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ، قَالَ: كَتَبَ سَلْمَانُ إِلَى أَبِي الدَّرْدَاءِ،**

يَا أَخِي لِيَكُنْ بَيْتُكَ الْمَسْجِدَ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((الْمَسْجِدُ بَيْتُ كُلِّ تَقِيٍّ وَقَدْ ضَمِنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ كَانَتِ الْمَسَاجِدُ بُيُوتَهُم بالرَّوْحِ، وَالرَّاحَةِ، وَالْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ))[5]، ووصف المسجد بالبيت له من قوة البعد الاجتماعي في الدلالة على المأوى و مجمع الشمل، كما أن ضمان الله تعالى لأهله بالراحة فيه من معاني الأمن الروحي والنفسي الذي يعتبر مولدا أساسيا للأمن الاجتماعي الذي ينعم به أفراد المجتمع فيما بينهم.

ومنه فإن المسجد رمز للأمن والسلام ويؤيد ذلك حديث رواه ابن عصام المزني عن أبيه رضي الله عنه:**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَعَثَ جَيْشًا أَوْ سَرِيَّةً يَقُولُ لَهُمْ: ((إِذَا رَأَيْتُمْ مَسْجِدًا، أَوْ سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا، فَلَا تَقْتُلُوا أَحَدًا))**[6].

ومن صور الأمن الاجتماعي الذي يحققه المسجد تهدئة روع الاضطرابات التي قد تعكر صفو الحياة الزوجية، فالمسجد يأوي إليه من غاضب أهله وضاقت به نفسه من البقاء في منزله حتى تهدأ صورة الغضب وتذهب نزغة الشيطان[7]، وما أجمل أن نسوق ما ذكره البخاري في إسهام المسجد من أجل تحقيق الأمن بين الزوجين، فعن سهل بن سعد قال: ((**جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت فاطمة فلم يجد عليا في البيت، فقال: «أين ابن عمك؟» قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يقل عندي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإنسان: «انظر أين هو؟» فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه، ويقول: «قم أبا تراب، قم أبا تراب.»**))[8]،فلم يفكر علي رضي الله عنه في أي مكان يحتضنه ويحقق أمنه ويهدئ حالة غضبه سوى المسجد، أي أن هذا المكان يعتبر بامتياز الأمن المطلق لمن قصد بابه، وفي هذا يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي ارتباطا بموضوع أمن الحياة الزوجية وعلاقته بالمسجد: 'المسجد دار للمنقطعين الذين لا أسر لهم، وللعزاب الذين لا أهل لهم، وللغرباء الوافدين من أصحاب الحاجات حتى تقضى حوائجهم بل ولمن كان قد ضاقت نفسه من بيته لمغاضبة أهله له حتى تنطفئ نار الغضب وتذهب نزغة الشيطان'[9].

وبرجوعنا إلى حديث البخاري السابق والوقوف مع فقه تبويبه له، يمكن لنا أن ندرك بعدا أمنيا اجتماعيا آخر يؤديه المسجد في حالات اضطرارية تقدر بقدرها وهو قضية النوم في المسجد، مع ما يكتنف هذه القضية من ملابسات وإشكالات مقصدية وواقعية، حيث إن فتح هذا الباب على مصراعيه قد يعود على المسجد بنقيض ما أنشئ من أجله، ولعل الأمر يحتاج إلى استطلاع ميداني يجلي حقيقة هذا الأمر ويلامس بعضا من جوانب القضية.

ومن التطبيقات العملية للارتباط الشديد لمؤسسة المسجد مع **الأمن** ما يلي:

-أمر السنّة النبوية الشريفة بالإمساك عن السيف أو الرمح في حق من دخل المسجد، ويكره سلّ السيف في المسجد لما روي عن جابر أن رجلا مرّ بسهام في المسجد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((**أمسك**

بنصالها))[10]، وفي نفس الباب حديث **أبي بردة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من مر في شيء من مساجدنا أو أسواقنا بنبل، فليأخذ على نصالها، لا يعقر بكفه مسلما))**[11].

وأما إقراره للحبشة على لعبهم بالحراب والسيوف في المسجد فهو لجهة التدريب على الحرب والتمرين والتنشيط عليه[12]، ويحتمل بشكل كبير أن يجري مثل هذا اللعب وهذه الأنشطة في باحة أو ساحة المسجد خارج مكان الصلاة، وذلك أن كثيرا من الأحاديث المتعلقة بذكر ما يجري في المسجد عندما يدقق في تفاصيلها أو في الروايات الواردة في شأنها، يسفر ذلك على أن الأمر جرى خارج المسجد في ساحته أو بجواره.

-كراهية بعض العلماء تزيين المسجد بقوارير الزجاج لا الوقود.

-كراهية اتخاذ المسجد طريقا.[13]

ب-**المسجد وزرع قيم النظام الاجتماعي**: أي تأثير السلوكات والتصرفات داخل الفضاء المسجدي في توفير آليات النظام الاجتماعي.

يربي المسجد أهله على قيم النظام والانضباط والتي من شأنها أن تساهم في تخليق سلوكات وتصرفات روّاده، بل تحقق بشكل مهم المقصد الأمني الدي بدأت بها وظيفة المسجد في المجتمع، فالأمة بلا نظام تعيش حالة من الفوضى العارمة والتسيب الذي لا يمكنها أن تحقق معه الرفاهية الحضارية والجودة في الحياة،ويمكن تحديد أهم عناصر النظام الذي يغرسه المسجد في تصرفات أصحابه فيما يلي:

-ضبط الوقت المحدد بأمارات أو مواعيد معيّنة.

-الصفوف المتراصّة بشكل دقيق ومعايير موضوعية.

-التناسق بين الحركة والعمل والفهم في التعبدات المسجدية (قراءة وتحركا).[14]

ومن الاستقراءات الشرعية المدعمة لهذه المبادئ النظامية، نجد:

-نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن مسابقة الإمام [15]في أفعال الصلاة التي نأتمّ به فيها، فقد ورد في الصحيحين مرفوعا: **((أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحوّل الله رأسه رأس حمار))**.

-نهيه صلى الله عليه وسلم عن الخروج من المسجد بعد النداء، انضباطا بالوقت وإكبارا لشأن انتظار الصلاة بعد النداء لها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أمرنا رسول الله صلى الله عليه: **"إذا كنتم في المسجد فنودي بالصلاة فلا يخرج أحدكم حتى يصلي"**[16].

-تحديد ضوابط وثوابت خاصّة بكل جنس على حدة تضبط وتحكم السلوك داخل الفضاء المسجدي أثناء أداء العبادة وخارجها، من ذلك تصفيف النساء خلف الرجال، وتدخلهن أثناء التصحيح والأمر المفاجئ بالإعلام تصفيقا لا تكليما، استحباب الخروج والانصراف من الصلاة قبل الرجال، تنظيما وتجنبا للفتنة.

ويتجلى البعد الانضباطي لمؤسسة المسجد في تربية روّادها على الالتفاف حول كلمة ورأي القائد من أجل توحيد الكلمة والاجتماع وعدم التفرق، وهذه من الأسرار التي جعلت بعض العلماء لا يرون جواز انعقاد الجماعة الثانية في المسجد الذي له إمام راتب، مع أن المسألة هي من قضايا الاختلاف المعتبر الذي لا ينكر فيه على المخالف.

ج-**المسجد والتعارف بين أفراد المجتمع**: أي إبراز مدى إسهامه في خلق وتوطيد فرص التعارف بين أهله من خلال التقائهم في مناسبات تعبدية عدّة، وما لهذا التعارف المسجدي من خصوصيات تميّزه عن غيره.

فأهل المسجد يلتقون في أجواء خاصّة يغلب عليها طابع الإيمان والخشوع الناتج على الارتباط بالذكر والقرآن، كما أن التقاءهم وتعارفهم في الجو المسجدي ينعقد –في أغلب فرصه- خارج المصالح الدنيوية وبعيدا عن الأطماع المادّية، وأهل المسجد ينخرطون في نسيج اجتماعي تفاعلي في إطار جماعة منسجمة يؤدي فيها كل عنصر من عناصرها دورا معينا سواء كان أساسيا أم ثانويا، حيث إذا ما افتقِد أحد منهم بادرت العناصر الأخرى في السؤال عنه وعن سبب تغيّبه، بسبب افتقاد الدور الذي يؤدّيه داخل جماعتهم المسجدية، فمنهم من يضحك ومنهم من يجمع ومنهم من ينسّق المواعيد ومنهم من يأتي بالجديد من الأخبار النافعة والمثيرة، ومنهم من يتعاهد بالنصيحة والتوجيه، ولا شك أن هذا التكامل الذي يعيشون فيما بينهم يلعب دورا أساسيا في صياغة وصناعة الرجال وتكوين شخصيّاتهم تكوينا متوازنا، فالنماذج المسجدية هي نسخ لسائر الأفراد الذين يشكلون تركيبة المجتمع الذي نعيش فيه.

ولا بأس أن يثمر هذا التعارف المسجدي الرفيع ثمارا يانعة يتعدى نفعها مستوى الفرد إلى مستوى الجماعة في بعدها الحياتي، سيما وأن الدين جاء لتحقيق مصلحة العباد في الآل وفلاحهم في المآل، فتتبلور بذلك علاقات جديدة على مستويات متعدّدة بناء على ما يتبادل أهل المسجد في تعارفهم من أحاديث وأخبار وأفكار، يقول الأستاذ عبد الهادي أعراب: ' وفي رحابه (أي: المسجد) يتبادلون جميعا منطلقات أولية لبناء علاقات جديدة (اقتصادية، اجتماعية، إيديولوجية ...الخ). كما يسمح في الوقت نفسه سواء من خلال حلقات الذكر ودروس الوعظ، بتكوين مجموعات خاصّة يوحدها الانتماء الفكري أو العمري (مراهقين، شباب، شيوخ ...) أو التنظيمي... الخ'[17]، إلا أنه تجدر الإشارة إلى أن إنتاج هذه المجموعات الموحدة اعتباريا لا يتعارض مع مبدأ المساواة الاجتماعية كمظهر من مظاهر النشاط الاجتماعي للمسجد، وإنما هذا إفراز نوعي للتواصل الفعال لأفراد المسجد الذين ينسجمون في قوالب، إما نظرا لاعتبار السن، أو نظرا لاعتبار الفكر، أو نظرا لاعتبار المجال المهني، مع أن الكل سواء في علاقتهم مع المسجد والحقوق والواجبات المتبادلة فيما بينهم.

ويعتبر التعارف المسجدي الذي يعقب الصلوات مدخلا تمهيديا لتفقد أحوال الناس واكتشاف همومهم وأحوالهم ومعرفة الغريب منهم الذي يحتاج إلى مدّ يد المساعدة، مع التحفظ والاحتياط في هذا الأمر الأخير الذي توسع فيه كثير من الناس فاستغله البعض لقضاء مآربه الشخصية وابتزاز أموال الناس، خاصّة في هذا الزمان الذي فسدت فيه الذمم وخارت فيه الهمم فأصبح فئام من الناس ممن يتكاسلون على الكسب يتوجهون للمسجد من أجل التسوّل لكون هذا الباب سهلا ميسرا ويغدق على صاحبه الخير الكثير.

يقول الدكتور خليل حسن الزركاني مبينا هذا الأثر التعارفي للمسجد: ' إن الجامع كان ملجأ للغريب الذي نزلت به محنة، وفي الفتوحات المكية يقول إنه ما كان يقصد في بلد إلا الجامع ليلقى أمثاله من الغرباء والسواحين ويأتنس بهم ويقول: إنهم كانوا إذا خرجوا من صلاة العشاء وجدوا رجالا كثيرين يحملون قطعا من الطعام يرسلها أهل الخير

للغرباء، ويقول: إن هذه القصاع كانت كثيرة ولم تقتصر على الثريد وكسر الخبز وبقايا الموائد، وإنما كان فيها الجيد الرفيع الذي يصنعه أهل الخير لغرباء المسلمين خاصّة.'[18]

د-**المسجد وزرع قيم التكافل الاجتماعي**: والمقصود منها إلى أي حد تسهم مؤسسة المسجد في الرفع من قيمة ووتيرة التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع؟

لقد كان المسجد على عهد رسول الله منبعا ومصدرا لتقسيم الغنائم والصدقات، وذلك ليبقى البعد الديني المتمثل في النية الخالصة مؤطرا لهذه الممارسة العملية التي تحقق المصلحة العامّة للأمّة فعن أنس رضي الله عنه قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلّم بمال من البحرين فقال: ((**انثروه في المسجد وكان أكثر مال أتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه، فما كان يرى أحدا إلا أعطاه، إذ جاءه العباس، فقال يا رسول الله: أعطني، فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خذ» فحثا في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: يا رسول الله، اؤمر بعضهم يرفعه إلي، قال: «لا» قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا» فنثر منه، ثم ذهب يقله، فقال: يا رسول الله، اؤمر بعضهم يرفعه علي، قال: «لا» قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا» فنثر منه، ثم احتمله، فألقاه على كاهله، ثم انطلق، فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعه بصره حتى خفي علينا – عجبا من حرصه – فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم**[19])).

يقول الأستاذ عبد الله قاسم الوشيلي: 'ويؤخذ جواز وضع ما يشترك المسلمون فيه من صدقة ونحوها في المسجد ومحله ما إذا لم يمنع مما وضع له المسجد من الصلاة وغيرها مما بني المسجد لأجله... ويستفاد منه جواز وضع ما يعمّ نفعه .... ويحتمل التفرقة بين ما يوضع للتفرقة **النافعة** وبين ما يوضع **للخزن**، فيمنع الثاني دون الأول'[20].

وكما كان المسجد موطنا لتقسيم الصدقات والغنائم فقد شكل كذلك مكتبا للخدمة الاجتماعية وجمع التبرعات ومعاونة المحتاجين، إلى جانب أداء الصلاة فيه[21]، ودليل وظيفية هذه الخدمة ما رواه المنذر بن جرير عن أبيه قال:**كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار، قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء، متقلدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالا فأذن وأقام، فصلى ثم خطب فقال: {يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة} إلى آخر الآية، {إن الله كان عليكم رقيبا} [سورة النساء، الآية1] والآية التي في الحشر: {اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله} [سورة الحشر، الآية 18] «تصدق رجل من دينار، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره – حتى قال – ولو بشق تمرة» قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل، كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها، وأجر من عمل بها**

بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»[22]، يقول الدكتور عبد السلام العزوزي: ' ولئن كانت المؤسسات الاجتماعية اليوم تبذل قصارى جهدها للاهتمام بالفئات التي تحتاج إلى الرعاية والعناية الاجتماعية، من المعوقين والفقراء والمعوزين والمرضى والغرباء واليتامى ممثلة في دور الرعاية الاجتماعية، فإننا نرى المسجد النبوي قبل خمسة عشر قرنا من الزمان كان يقوم بهذا الدور على أكمل وجه، كما كان مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم يقوم مقام الجمعيات الخيرية في جمع الزكاة والصدقات من الموسرين والمثقفين، وتوزيعها على الفقراء والمساكين وغيرهم من مستحقّي الزكاة'[23].

كما أن المسجد شكل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاء إيجابيا لاجتماع الناس على ما تيسر من طعام وشراب، خاصّة بالنسبة للضيوف الوافدين والذين تكون فرصة الصلوات الجماعية هي المناسبة الرئيسية للقياهم واجتماعهم، ومعلوم أن بيوت المسلمين كانت لا تتسع في أغلبيتها لاستقبال الضيوف، نظرا للحالة الفقيرة التي يعيشها أغلبهم، فكانت هذه الاستقبالات مع ما يرافقها من تناول طعام وتبادلات أحاديثه تتم في المسجد.

وتأصيل هذه الممارسة الاجتماعية يستند إلى ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه**قال: وجدت النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد معه ناس، فقمت فقال لي: «آرسلك أبو طلحة؟»، قلت: نعم، فقال: «لطعام»، قلت: نعم، فقال: «لمن معه قوموا، فانطلق وانطلقت بين أيديهم»**[24].

ونجد قضية الاجتماع على الطعام ظاهرة بارزة بالأساس في مسجد البادية، لكون أهلها أكثر تكتلا واجتماعا وارتباطا بالمساجد في المناسبات الاجتماعية مما هو عليه في المدينة بسبب تأثيرات الحضارة المادية التي تجعل أصحابها مشغولين وليس لهم وقت لإحياء مثل هذه الطقوس، كما أن هذه القضية تذكرنا بموائد الإفطار التي تنظم بالمساجد تيسيرا للمصلين حتى يتأتى لهم الجمع بين أداء الصلاة جماعة وبين سنية تعجيل الفطر، مع ما يصاحب العملية من تنافس وتسابق في الخير والسعي في إفطار الصائمين، وهو أمر يعطي للمسجد إشعاعا اجتماعيا مميزا ويحفز ذوي الهمم الضئيلة على المواظبة على الجماعة في صلاة المغرب، وفي ذلك يقول الأستاذ الوشيلي: ' المسجد فيه يستقبل الضيف الوافد، ويكرم فيه، ومنه يدعى لكرم الضيافة وتناول الطعام ولنا في ذلك شواهد كثيرة وأدلة واضحة'[25].

والسر في ذلك هو تحصين الارتباط الوثيق الذي يكون بين الضيف باعتباره غريبا منقطعا عن أهله، وبين المسجد الذي محضن ومأوى الغرباء.

وينبغي في هذه الممارسة ألا تعود على المسجد بنقيض ما شرع لأجله، حيث تواجهنا فيذلك إشكالات سلوكية عديدة من بينها دخول الناس في حوارات كلامية مليئة باللغو والخوض في أعراض الناس مما يتعارض مع قدسية المكان، بالإضافة إلى الجرأة على تلويث أماكن العبادة وترك روائح لا تنسجم والجو الذي ينبغي أن يسود أماكن العبادة والخشوع.

لذلك نجد مساجد تأخذ هذه الاحتياطات بعين الاعتبار فتقسم لمثل هذه الممارسات قاعات أو فضاءات مكانية ملحقة وتابعة للمسجد، تضفي جمالية خاصة ونظرة معتبرة للمؤسسة المسجدية.

ومن أهم الفئات الاجتماعية التي حظيت بعناية المسجد واهتمامه عبر التاريخ فئة **الأيتام** على اعتبار النصوص الشرعية التي تحض على كفالته وتبوء أعلى المراتب في الجنان جزاء رعاية حقوقه، وخيرمثال على ذكر ما ذكر عن المسجد في أيام احتلال الجزائر والدور الذي لعبته المؤسسة الدينية في الاهتمام الاجتماعي بهذه الفئة يقول الأستاذ بلال ريم: 'وقد أولت الزوايا والمساجد اهتماما كبيرا بالأيتام من خلال إيوائهم والتكفل بهم وبحاجياتهم، ولم تكن المؤسسة الدينية تكتفي بتوفيرالمأوى والمأكل لليتامى فقط، بل كانت تهتم بتربيتهم وتعليمهم وتسمح لهم بتولي المناصب العليا الخاصة بتسيير الزاوية أو الكتاب أو المسجد.'[26]

هـ-**المسجد والمساواة الاجتماعية بين روّاده:** ويتجلى ذلك في كيفية تحقيق المسجد لمبدأ المساواة الاجتماعية وتأثيره على المجتمع في بث هذه القيمة.

تبدو هنالك جمالية حضارية محملة بمجموعة من الدلالات والعبر، من خلالالمظهر الذي يعطيه تنظيم الصفوف والمساواة التي يحققها بين مختلف طبقات المسلمين، فليس في المسجد مكان خاص للوزير، وآخر للعامل أو الخادم، وإنما الجميع سواء أمام الكبير المتعالي، هذا المظهر من المساواة الذي يقضي على جميع الفوارق وقف أمامه كثير من الأجانب والمستشرقين مشدوهين، فهذا الفيلسوف الفرنسي (رينان) يقول: إنني لم أدخل مسجدا من مساجد المسلمين، من غير أن أهتز خاشعا، وأن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلما. ويقول السير توماس أرنولد عن الصلاة في المسجد: هذا الفرض المنظم من عبادة الله هو من أعظم الأمارات المميزة للمسلمين عن غيرهم في حياتهم الدينية، فكثيرا ما لاحظ السائحون وغيرهم في بلاد الشرق ما لكيفية أدائه من التأثير على النفوس[27].

وأهم ما يتبادر إلى المتأمل في مبدأ المساواة الاجتماعية عدم اختصاص الأحكام المسجدية بصنف خاص من الناس دون آخر، إلا ما كان من تمييز على اعتبار اختلاف الجنس، نظرا لخصوصيات كل جنس من حيث الممارسة السلوكية الاجتماعية، كندب إتيان الرجل للمسجد بالرائحة المعطرة الطيبة، وتحريم ذلك على المرأة لما يفضي من فتن وخروج عن الإطار الشرعي في سلوك المرأة.

كان المسجد ولا يزال ملتقى جميع الفئات والشرائح الاجتماعية،يسوي ويكافئ بينهم دون تمييز أو تفضيل لاعتبار عرقي أو عنصري أو انتماء قبلي أو طبقي، رغم ما يلاحظ من بعض الشذوذات السلوكية لبعض الأفراد فيه، يقول الأستاذ منصور الرفاعي عبيد: ' فالمسجد يعلم الناس عمليا هذا الوضع الاجتماعي الرائع الرائد ليتحقق الخير في المجتمع والكل ينطلق لأداء واجبه بهدوء واستقرار، إننا نرى اليوم وفي أرقى الدول التفرقة العنصرية على أشدّها حتى في مراحل التعليم أو ركوب الحافلة أو المطاعم ثم يقولون إنهم في حضارة، أين هذا من منهج الإسلام ونظامه الذي يسوي بين الناس وشعاره الذي يتردد قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**"[28،29].

ويمكن أن نختصر مظاهر المساواة المسجدية في ثلاثة أمور أساسية أجملها فيما يلي:

1-الاستواء التماثلي في إقامة الصف أثناء أداء الصلاة.

2-الجلوس في المكان الذي انتهى به المجلس دون تخطّ للصفوف أو إيذاء أو تفريق بين الجالسين.

3-توجيه الكلام وإصداره على الوجه التوجيهي دون تسمية أو إشارة إلى شخص معيّن.

ومفهوم المساواة المسجدية يتعلق بالمساواة المتعلقة بعنصر المكان باستواء القريب والبعيد في التردد إليه، ويتعلق كذلك بنوعية النشاط المهني الذي يزاوله أهل المسجد فهم فيه سواء، كما يتعلق باستوائهم فيه رغم تباين مستوياتهم الثقافية المعرفية وانتماءاتهم الاجتماعية، يقول الأستاذ عبد الهادي أعراب: ' ففيه يحتشد الناس وإليه يفد القاطنون بالحي السكني الواحد أو بالأحياء الأخرى المجاورة والبعيدة، وإليه أيضا يقدم المسافرون والزوار العابرون والباعة والتجار من مختلف المناطق، وتحت سقفه يجتمع المصلّون من كافّة الشرائح والمهن والمستويات المعرفية والعلمية والانتماءات الحزبية والنقابية.'[30]

ومن ترسيخ الخطب المسجدية لمبدأ المساواة المجتمعية قيامه صلى الله عليه وسلم خطيبا محذرا كما في حديث عائشة رضي الله عنها **أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه أسامة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فاختطب، ثم قال: إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"**[31]، ولا شك أن هذا من أجل إشعار المجتمع أنهم أمام حكم الله سواء لا فرق بين شريف ووضيع وإنه لا ينبغي للمجتمع أن يفاضل بين بعضه بعضا في استيفاء الحدود وعدمها وأن يخوض في ذلك[32].

ومن آثار قيم المساواة التي يتربى عليها أهل المسجد، إيثار المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، مما يقضي على الأنانية والفردانية المقيتة، فلا حياة حقيقية بدون حياة جماعية، مما يثمر لدينا مجتمعا متحضرا متين الأسس، روّاده أسرة واحدة، لهم شعور واحد وإحساس واحد، يرحم قويهم ضعيفهم وغنيهم فقيرهم[33].

و-المسجد والحياة اليومية من أفراح وأحزان: أي انخراط المسجد في الحياة العامّة للناس ومواكبته لأفراحهم وأحزانهم.

فقد كان في الصدر الأول ملجأ كل محزون مهموم يتوسم فيه تبديل حزنه فرحا وهمّه فرجا، وقد يلتقي الكلام على هذا الأمر مع الكلام على توفير الأمن في بعض جزئياته، ويمكن هنا الاستشهاد بما رُوي عن أبي سعيد الخدري: **قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: ((يَا أبا أُمَامَةَ، مَا لِي أَرَاكَ جَالِسًا فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟»، قَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟»، قَالَ: قُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ، قَالَ: " قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ، وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَقَهْرِ الرِّجَالِ "، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي))**[34].

فالهم قرين الحزن، لذلك أرشد النبي صلى الله عليه وسلم أبا أمامة إلى أن يستعيذ منهما معا مقترنين، حيث إن كثرة الهموم تورث الحزن الذي يضيق معه الصدر، ولذلك لجأ أبو أمامة إلى المسجد مباشرة بعد تولد هذا الشعور، لأن العبادة كفيلة بتحصيل شعور السعادة وملء القلب اطمئنان بما لا يدع معه متسعا في الصدر لشيء من الحزن والاضطراب، قال تعالى: **"من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينّه حياة طيّبة ولنجزينّهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"**[35].

ويظهر جليا هذا الانخراط في مسجد البادية بحجم كبير، فمعدات الأفراح والأحزان من أفرشة وخيام رهن إشارة أهل الدوار ومتاحة للاستخدام في أي وقت بل بالمجان.

فإعلان النكاح ظاهرة كانت تتم في المساجد اقتداء بسنة النبي صلى الله عليه وسلّم، كما أن أعظم الأحزان والمصائب والتي هي الموت لا تنفك عن المسجد فمنه تجلب المغسلة ووسائل تغسيل الميت وفيه تؤدى عليه صلاة الجنازة ترغيبا في حضور أكبر عدد من المصلين رجاء شفاعتهم، بالإضافة إلى الوظيفة الأساسية التي يؤديها الإمام وذلك بوعظ وتذكير أهل الميت والدعاء لمفقودهم بالمغفرة والرحمة، فلا تكاد تجد مأتما أو حزنا إلا وفقيه المسجد حاضر فيه بقوة يمثل رسالة المسجد في تخفيف آلام المصاب وتحقيق الدعم الاجتماعي والمواساة لأهله، حتى أنه لو فرض أن إمام المسجد غائب لسفر أو أمر عارض، تتم المناداة عليه ومهاتفته حتى يلتحق في أقرب وقت ليؤدي ما عليه، أو ينيب عليه أو يوكل من هو قادر على القيام بمهمته كما لو كان هو حاضر معهم.

وفي الأفراح نجد المسجد حاضرا بقوة، ففقيه المسجد شخص لا تعقد الأنكحة إلا بحضوره ومباركته للحفل بتلاوة آيات بينات مع الدعاء بالتوفيق والسداد للعروسين، بل هو شخص تتم مشاورته والثقة في رأيه قبل عقد القران، لكونه له من بعد النظر والخبرة ما يؤهله ليدلي بدلوه في مثل هذه القضايا خاصّة إذا كان من أهل القبيلة أو الدوار، كما أن للمسجد حضورا قويا في التأثيث المادي للأفراح بما يوقفه أهل الخير من وسائل وأواني وخيام ليستعين بها من يحتاجها لهذه الغاية، مع أنه ينبغي للمحتاج أن يحسن صيانة ما يجلبه من هذه الوسائل ليعم ويدوم الانتفاع بها ممن يريدها بعده، مع الحرص أن تستخدم في ما يرضي الله وأن يتجنب استعمالها في المعاصي والمنكرات المعروفة التي تصاحب هذه الأفراح.

ويمكن أن أسوق هنا حدثا قصيرا عشت تجربته شخصيا يبين الدور الأساسي للمسجد في مواكبة أحزان محيطه والانخراط معه في ذلك، وهو أن أهل قرية قريبة من مدينة الجديدة طلبوا مني يد العون في مدّهم بإمام راتب يقوم بوظيفة الفقيه المسير لمسجدهم، فعثرت على صديق لي إمام في مستوى عال من العلم والضبط لكتاب الله والأخلاق الفاضلة التي تؤهله للقيام بهذه المهمّة على أحسن ما يرام، إلا أنّ أهل هذه البلدة –لقلة وعيهم تلكّأوا في قبول مشارطته بحجة أنه كفيف البصر وبالتالي لن يستطيع تغسيل أمواتهم عند اللجوء إليه في هذا الأمر، ورغم أنه لسنا بصدد مناقشة الاتفاق معهم من عدمه، إلا أنني أردت أن أبين حجم الارتباط الكائن بين المسجد ونوعية حياة المجتمع من أفراح وأحزان.

ومما يذكرنا كذلك بمواكبة المسجد لأفراح المجتمع حفلات سلطان الطلبة التي كانت تحظى بأهمية بالغة، نظرا للجموع الغفيرة التي تستقطبها، إلا أن الحديث عن هذا الحدث ومدى الأثر التربوي الذي يخلفه في نفوس

المتخرجين الحفاظ يغلب عليه الجانب التربوي التعليمي أكثر مما هو اجتماعي، وبالتالي فإنني أرى عدم التفصيل فيه في هذا المقام.

ز-المسجد والقضاء والصلح بين الناس: بمعنى: كيف يكون لهذين الفعلين -داخل المسجد-الأثر الفعّال في الالتحام الاجتماعي ونبذ الكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع.

فالمسجد قد عرف حضورا بارزا لإجراءات القضاء بين المتخاصمين والمتنازعين في الصدر الأول للإسلام، حيث نجد الإمام البخاري الذي فقه في تراجمه يبوب بابا بعنوان: باب من قضى ولاعن في المسجد ثمّ قال: **ولاعن عمر عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم وقضى شريح، والشعبي، ويحيى بن يعمر في المسجد وقضى مروان على زيد بن ثابت باليمين عند المنبر وكان الحسن، وزرارة بن أوفى، يقضيان في الرحبة خارجا من المسجد**[36].

فكان المسجد يزاول فيه القضاء وتصدر الأحكام في ساحته وتنفذ خارجه إذا كانت حدودا أو قصاصا، حيث كانت لا توجد هناك دار للقضاء سواه في الفترات الأولى لتاريخ الإسلام، وبمشروعية القضاء قال كثير من أهل العلم وكرهه بعضهم وهو وجه للشافعية[37].

يعني أن المسجد يفرق فيه بين إجراء القضاء والإفصاح عن الحكم الصادر في شأنه حيث يمكن صدور ذلك في وسط المسجد وبين تنفيذ القضاء وما يتطلبه من إجراءات العقوبة والتأديب كإقامة الحدود والتعازيز، فهذا كان ينفذ خارج المسجد لورود الأدلة عليه ولكون هذا التنفيذ يخالف مقصدية الأمن والراحة والسكينة التي ينبغي أن تسود وسط الجو المسجدي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: ((**أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد، فناداه فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأعرض عنه حتى ردد عليه أربع مرات، فلما شهد على نفسه أربع شهادات، دعاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «أبك جنون» قال: لا، قال: «فهل أحصنت» قال: نعم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اذهبوا به فارجموه»**))[38].

وليس مع هذا الدليل وجه احتمال أن يكون الرجم وتنفيذه داخل المسجد، لكن ما يهم في القضية هو مصداقية وقوة القرار الفاصل الصادر من المسجد.

وظل القضاء ممارسة شرعية تلتصق بالمسجد مع توالي فترات التاريخ الإسلامي خاصة في عهد الصحابة رضوان الله عليهم عُمَرَ وعُثْمانَ وعليّ، رَضِي الله عنهم، أنَّهم كانوا يَقْضُونَ في المسجدِ. يقول ابن قدامه المقدسي (682هـ): ' قال مالك: القضاءُ في المسجدِ مِن أمْرِ الناسِ القديمِ. وبه قال مالك، وإسْحاقُ، وابنُ المُنْذِرِ. ... وقال الشَّعْبِي: رَأيتُ عُمَرَ مُسْتَنِدًا إلى القبلةِ، يَقْضِي بينَ الناسِ. ولأنَّ القَضاءَ قُرْبَة وطاعة وإنْصافٌ بينَ الناسِ. ولا نَعْلَمُ صِحَّةَ ما رَوَوْه، وقد رُوِيَ عنه خِلافُه. وأمَّا الحائضُ، فإن عَرَضَتْ لها حاجَة إلى القضاءِ، وَكَّلَتْ، أو أتَتْه في مَنْزِلِه. والجُنُبُ يَغْتَسِلُ ويَدْخُلُ، والذِّمِّي يجوزُ دُخولُه بإذْنِ مسلم. وقد كان النبي -صلى الله عليه وسلم -يَجْلِسُ في مسجدِه، مع حاجةِ الناسِ إليه للحُكُومَةِ والفُتْيا وغيرِ ذلك مِن حَوائِجِهم، وكان أصْحابُه يُطالِبُ بعضُهم بعضًا بالحُقوق في المسجدِ، وربَّما رَفَعُوا أصْواتَهم'[39].

أما عن الصلح بين المتخاصمين، فالمسجد هو الفضاء الإيجابي اللائق لممارسة هذا العمل الإيخائي، نظرا لوجود وتهيئة جو المحبة والصفاء عقب التزود من العبادات التي تؤدى به والعمل بالمواعظ التي تسمع في أرجائه، فالمؤسسة المسجدية قد ساهمت في فض النزاعات والخصومات على الأرض والتحكيم بين المتنازعين في القبيلة والتدخل لرفع مظلمة ودفع مضرة على فرد أو جماعة، فضبطت بذلك النظام العام وشكلت مركزا لوحدة القبيلة، وأصبحت مع مرور الزمن معلما يلتف حوله رجال القرية وتدور عليه حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية[40].

ح-المسجد والخدمات الصحيّة:

فالمسجد مصحة يسكنها المرضى للضرورة، وتوجد فيه عيادة الجارحة ومعالجة المرضى، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم وصف فيه بعض الأدوية ولأي مرض تكون وشخص فيه بعض الأمراض ونصح ما يؤخذ لها من علاج[41].

وأبرز المظاهر المعاصرة التي يمكن أن يضطلع بها المسجد في هذا الصدد مظهران: خدمات التبرع بالدم من خلال الحملات التنظيمية التي تشترك فيها مراكز تحاقن الدم مع المجالس العلمية أو الجمعيات المخول لها تسيير المساجد، والمظهر الثاني وهو عقد دورات تدريبية تحسيسية للإسعافات الأولية تنظيرا وممارسة.

ومن أهم ما يمكن الاستئناس به في التدليل والتأصيل للخدمة الصحية والاستشفائية للمسجد ما روته عائشة رضي الله عنها: ((**أصيب سعد يوم الخندق[42] في الأكحل[43]**، «**فضرب النبي صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد، ليعوده من قريب فلم يرعهم[44]**» **وفي المسجد خيمة من بني غفار، إلا الدم يسيل إليهم، فقالوا: يا أهل الخيمة، ما هذا الذي يأتينا من قبلكم؟ فإذا سعد يغذو جرحه دما، فمات فيها**))[45].

يستفاد من الروايات الواردة في هذا الإطار أن جزءا من المسجد داخله قد تم تخصيصه لهذه الخدمة الاجتماعية، ولم يكن هذا الأمر معزولا عن المسجد أو خارجه، كما هو الشأن الوارد في رواية لعب الحبشة بالمسجد، وفرق بين ما يجري من الأنشطة داخله وبين ما يجري من الأنشطة خارجه، ثم إن الإطار العام التي تجري فيه قضية الخدمة الصحية هو إطار الحروب والشدائد بين المسلمين والمشركين[46]، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على مواكبة المسجد للمدلهمات التي تعيشها الأمة وأنه دعامة أساسية لا يستغنى عليها في تدبير القضايا الاجتماعية من العيار الثقيل، ونجد هنا نوعا من التداخل بين البعد الاجتماعي وبين البعد السياسي الدولي،لكن ترجيح الخدمة الاجتماعية التي تتعلق بداخل كيان الأمة أظهر في الاعتبار.

ولعل اتخاذ الخيمة الاستشفائية في المسجد يدلنا على عدة حِكم منها: مزاوجة العلاج المادي بالعلاج الروحي الإيماني المرتبط بالذكر وسماع القرآن، بالإضافة إلى تيسير سبل عيادة المصاب وتقوية حظوظ أكبر عدد من الزوار عليه، وهذا له أيضا من البعد الاجتماعي الخيري ما لا يخفى على ذي لب، ولما كان إيمان الأوائل له من الرفعة السيء الكثير فإنهم كانوا يكررون ويعيدون زيارة المريض والمصاب مما جعل قرار الاحتفاظ بالمريض داخل المسجد قرارا صائبا يحقق رفع الحرج بعدم ازعاج أهل المريض بكثرة من يزوره، وهذا بعد مقصدي بامتياز.

كما أن هذا الأمر يثير لدينا قضية نقاش أساسية والتي قد تواجه في تفعيلها وأجرأتها بعض الإشكالات النوعية، وتتمثل هذه القضية في تأطير مؤسسة المسجد لممارسة الرقية الشرعية، حتى لا يتوسع في هذا الباب فيعرف بذلك

ظهور عدّة ممارسات محظورة، وبالتالي سنكون هنا في إطار التأسيس لخدمة اجتماعية يمكن أن تنهض بها مؤسسة المسجد تأطيرا وتنفيذا وهي خدمة خلية الرقية الاستشفائية.

وليس التأسيس والتأصيل للخدمة الصحية لمؤسسة المسجد ضربا وإضعافا للمستشفيات والمراكز الطبية التي لها إطارها الإداري والخدماتي، وإنما هو إحياء لخدمة أصيلة لها جذورها في تاريخ المؤسسة المسجدية وذلك على غرار الطب البديل الذي تبذل فيه حاليا جهود حثيثة لإحيائه لمن يرغب في التوجه إليه عن طواعية واختيار.

والذي أراه –والله أعلم –منطقيا وينسجم مع مقتضيات الواقع، وهو أن تسعى المؤسسة المسجدية عبر الجهة الوصية المسيرة لأنشطتها وأمورها الإداريةإلى إحداث مركز صحي أو ملحق استشفائي خيري، خاصة في المناطق التي تبعد عن المستشفيات والمستوصفات بسبب توسع العمران الحضري، حيث تكون هذه المرافق الصحية ملجأ للمضطرين تغيثهم وتقدم لهم الإسعافات الأولية اللازمة، كما أن إحداث مثل هذه الخدمات سيسهم بلا شك في تشغيل أعداد من المعطلين في المجال الصحي، وبالتالي سيتم من خلال هذا الإجراء العملي حل مشكلين وازنين في نفس الوقت، وأستحضر هنا في ظل مناقشة مقترح إحياء الخدمة الاستشفائية للمسجد تجربة معاصرة حديثة العهد أحدثت في عدد من مناطق المغرب وتستحق الإشادة وهي تجربة الإسعافات الأولية المقدمة من طرف خدمة 2222 والتي تحظى برضى تام من قبل المواطنين بناء على الأثر الطيب الذي خلفته، فكيف لو كانت مثل هذه الخدمات صادرة عن مؤسسة مسجدية تتبناها وتشرف على نشاطها؟ وكيف سيكون الأثر الذي تخلفه مثل هذه المبادرات الخلاقة؟

ختاما:

فإن مؤسسة المسجد قد أسهمت ولاتزال تسهم في البناء الاجتماعي الرصين وخدمة المجتمع بشكل إيجابي فعّال، وما من خلل أو تعثر مرصود في السلوك الاجتماعي لأهل القبلة أو في نشاطهم الاجتماعي، إلا ومؤسسة المسجد معطلة أو غير مستثمَرة في هذا المجال، و ما من نهضة إصلاحية تغييرية تروم ترميم القيم والمثل الاجتماعية في مجتمع إسلامي ما، إلا وينبغي لها أن تنطلق من الوظيفة الاجتماعية للمؤسسة المسجدية، التي أثبت التاريخ نجاحها في أدائها وقدرتها على التكيف مع الأوضاع والمشاكل ومعالجتها معالجة بصيرة ثاقبة تحقق الغاية المتوخاة منها.

لائحة المصادر والمراجع المعتمدة:

1-القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2-إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (794هـ)، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ/ 2010م.

3-الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري): أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

4-رسالة المسجد في الإسلام: عبد العزيز محمد اللميم، مؤسسة فؤاد، بيروت، لبنان، ط1، 1407هـ/ 1987م.

5-سنن أبي داود: أبو داود السجستاني (275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ.

6-سنن الترمذي: أبو عيسى محمد الترمذي (279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ /1975م.

7-السياق القرآني للإصلاح: عبد الواحد الحسيني، دار الكلمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1436هـ/ 2015م.

8-الشرح الكبير على المقنع: شمس الدين أبو الفرج ابن قدامه المقدسي (682هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ/ 1995م.

9-شعب الإيمان: أبو بكر أحمد الخراساني البيهقي (458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ/ 2003م.

10-مؤسسة المسجد الرسالة الحضارية والوظيفة الاجتماعية: عبد العالي المعكول، مطبعة أميمة، فاس، المغرب، الطبعة الأولى، 1433هـ/ 2012م.

11-مجلة الإرشاد: العدد 87، السنة 18، 1986م، وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، مقال: المسجد ودوره الحضاري والإنساني: عبد القادر العافية.

12-مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج2، رسالة المسجد عبر التاريخ.

13-مجلة الرافد: عدد 82/80، صفر 1425هـ/ 2004م، الشارقة، الإمارات، مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ د خليل حسن الزركاني.

14-مجلة منار الهدى: ماي 2001، مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي.

15-مجلة الناصرية: العدد 20، يونيو 2012، جامعة معسكر، دار الرشاد، مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس) / ذ. بلال ريم.

16-مجلة نوافذ: السنة 10، العدد 39 / 40، الرباط، المغرب، مارس 2009، مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب.

17-المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ/ 1971م.

18-مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (241هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط/ عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ/ 2001م.

19-المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري (261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

20-المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص80، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.

21-مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، مطبعة العاصمة، القاهرة، مصر، ط1، 1978م.

22-وظيفة المسجد في المجتمع: صالح الخزيم (1418هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، 1419هـ.

الهوامش:

[1] سورة الأنعام: الآية 82.

[2] السياق القرآني للإصلاح: عبد الواحد الحسيني، ص235/ 236، دار الكلمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1436هـ/ 2015م.

[3] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص80، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.

[4] سورة النور، الآية 55.

[5] شعب الإيمان: أبو بكر أحمد الخراساني البيهقي (458هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، كتاب الصلاة، باب فضل المشي إلى المساجد، رقم: 2689، ج4 / ص381، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط1، 1423هـ/ 2003م.

[6] سنن الترمذي: أبو عيسى محمد الترمذي (279هـ)، كتاب: أبواب السير، باب ما جاء في الدعوة قبل القتال، رقم: 1549، ج4/ ص120، تحقيق: أحمد محمد شاكر (جـ 1، 2)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ 3)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ 4، 5)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ /1975م. وقال الألباني رحمه الله: حديث ضعيف.

[7] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص69، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت،لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م.

[8] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، رقم: 441، ج1/ ص96.

[9] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: ص67.

[10] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب يأخذ بنصول النبل إذا مر في المسجد، رقم: 451، ج1/ ص98.

[11] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المرور في المسجد، رقم: 452، ج1/ ص98.

[12] إعلام الساجد بأحكام المساجد: محمد الزركشي (794هـ)، ص355، تحقيق: مصطفى المراغي، مطابع الأهرام، القاهرة، مصر، 1431هـ/ 2010م.

[13] إعلام الساجد: ص356.

[14] مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص32 بتصرف واختصار، مطبعة القاهرة، مصر، ط1، 1978م.

[15] المسجد في الإسلام: خير الدين وائلي، ص102/ 105 بتصرف، مطبعة الإنشاء، دمشق، سوريا، ط1، 1391هـ/ 1971م.

[16] مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني (241هـ)، مسند أبي هريرة، رقم: 10934، ج16/ ص546، تحقيق: شعيب الأرناؤوط / عادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ/ 2001م.

[17] مجلة نوافذ: السنة 10، العدد 39 / 40، الرباط، المغرب، مارس 2009، مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب.

[18] مجلة الرافد: عدد 82/80، صفر 1425هـ/ 2004م، الشارقة، الإمارات، مقال: المساجد في عيون الرحالة العرب/ د خليل حسن الزركاني، ص97.

[19] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب القسمة وتعليق القنو في المسجد، رقم: 421، ج1/ ص91.

[20] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: عبد الله قاسم الوشيلي، ص71/70.

[21] مجلة منار الهد: ماي 2001، مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي، ص16.

[22] صحيح مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة لو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار، رقم:1017، ج2 / ص704.

[23] مجلة منار الهدى: ماي 2001، مقال: محورية وظيفة المسجد في حياة المسلمين/ عبد السلام العزوزي، ص16.

[24] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب من دعا لطعام في المسجد ومن أجاب منه، رقم:422، ج1/ ص92.

[25] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: ص75.

[26] مجلة الناصرية: العدد 20، يونيو 2012، جامعة معسكر، دار الرشاد، مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس) / ذ. بلال ريم، ص186.

[27] مجلة البحوث الإسلامية: مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج2 / ص510، رسالة المسجد عبر التاريخ، أبو بكر القادري.

[28] سورة الحجرات، الآية 13.

[29] مكانة المسجد ورسالته: منصور الرفاعي عبيد، ص33 / ص34، ط1، 1978م.

[30] مجلة نوافذ: السنة 10، العدد 39 / 40، الرباط، المغرب، مارس 2009، مقال: المساجد والتحكم الديني للدولة بالمغرب/ عبد الهادي أعراب، ص88.

[31] صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب حديث الغار، رقم: 3475، ج4/ ص175.

[32] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: ص41.

[33] مجلة الإرشاد: العدد 87، السنة 18، 1986م، وزارة الأوقاف، الرباط، المغرب، مقال: المسجد ودوره الحضاري والإنساني: عبد القادر العافية، ص27 بتصرف.

[34] سنن أبي داود: أبو داود السجستاني (275هـ)، كتاب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستعاذة، رقم: 1555، ج2/ ص93، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، بدون طبعة ولا تاريخ، ضعّفه الألباني.

[35] سورة النحل: الآية 97.

[36] صحيح البخاري: كتاب الأحكام، باب من قضى ولاعن في المسجد، رقم:ج9 / ص68.

[37] المسجد ونشاطه الاجتماعي على مدار التاريخ: ص62/60 بتصرف.

[38] صحيح البخاري: كتاب الحدود، باب لا يرجم المجنون والمجنونة، رقم: 6815، ج8 / ص165.

[39] الشرح الكبير على المقنع: شمس الدين أبو الفرج ابن قدامه المقدسي (682هـ)، كتاب القضاء، باب أدب القاضي، ج28 / ص338، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، مطبعة هجر، القاهرة، مصر، ط1، 1415هـ / 1995م.

[40] مجلة الناصرية:العدد 20، يونيو 2012، جامعة معسكر، دار الرشاد، مقال: الدور التربوي للمؤسسات الدينية قبل وبعد الاستعمار الفرنسي (المساجد والكنائس) / ذ. بلال ريم، ص183.

[41] المسجد ونشاطه الاجتماعي عبر التاريخ: ص63.

[42] غزوة الأحزاب.

[43] (الْأَكْحَل): عِرْقٌ فِي وَسَطِ الذِّرَاعِ، قَالَ الْخَلِيل: هُوَ عِرْق الْحَيَاة.

[44] لم يرعهم: لم يفزعهم.

[45] صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الخيمة في المسجد للمرضى وغيرهم، رقم: 463، ج1 / ص100.

[46] رسالة المسجد في الإسلام: عبد العزيز محمد اللميم، ص138/ 139 بتصرف.